ما يظنه مؤثراً فيه بالنسبة الى نوع معدنه وقابلية تأثيره وهو ما يصح ان يسمى بالسياسة الزوجية التي تحفظ للزوج صيانة قلب امرأته من فساد الاوهام خالياً مما يشوبه من الشك والارتياب . وهذه السياسة مطلوبة منه جديرة به لان العزة الالهية والهيئة الجامعة جعلتاه رفيقاً امينا ووالداً مرشداً وزوجاً مخلصاً

والعاقل من عرف كيف السبيل لبلوغ السعادة والصفاء من الزواج الذي جعلته السنة اساساً متيناً لتوثيق دعائم الوفاق بين الامم البشرية واتحاد القلوب والافكار لتقديم بني الانسان في الحضارة والعمران

المملكة والدين

ظهر الانسان على وجه البسيطة مجملاً بكل قواه الطبيعية جسداً وعقلا « نوعاً لا رتبة » على انه لانفطاره على حاسة الخوف ومحبة السيادة بالانقياد لارآء من هم اوفر منه شجاعة وامهر تدريباً سار في طريق الحياة المتشعبة ولا ناموس له غير التقليد ولا شريعة تقيد اميال غير ما وضعه بعض الافراد الذين ظهروا في معظم ادوار البشرية فرتبوا بحسب صوالحهم وصوالح الشعب سنناً تطابق ظروف الاحوال التي ظهروا بها فانقسمت القبائل وتكونت الملل فاختلفت باختلافها الاهواء وتباينت المقاصد وآلف كل مشرب قومه فاصبح لمعظم سطوة العادة متمسكا بتقاليده الموروثه متخذاً اياها دستوراً في كل اعماله مرتجفاً فرقا لدى اقل مخالفة تصدر منه خشية العقاب في العالم العتيد فنتجت

عن ذلك التعصبات الهائلة والانشقاقات العديدة التي مزقت شمل البشر وبددتهم على وجه البسيطة اقساما يعيش كل منها بالتقتير والاكتفاء بضروريات الحياة يربي الاطفال على حب الجنسية والتعصب ليكونوا في المستقبل اهلاً لحمل راية الدين والدفاع عنها في معتركات الجهاد العديدة

وهكذا مرت قرون عديدة على بني الانسان وهم مشتتون قبائل كل واحدة منها مستقلة بنفسها تجمع افرادها وحدة التقاليد وتضم كلمتهم الرئاسة الدينية التي كانت بيدها ادارة الاحكام المدنية بفروعها واجازة الصلاح وعقاب المجرمين « بحسب ما كانوا يعتقدون »

وبالاجمال ان وحدة البشرية التي فسحتها الغايات لم تكن لتذعن في تلك الادهار الا لصوت الدين ولاحكام الكهنة فكانت الدول اذ ذاك اشبه بنوع من الملك المطلق تديرها اهواء الرؤساء فيساعد على الخضوع لاحكامها عمى الشعب وجهله

وبما ان الانسان ذو عقل يقوى بالتجارب وجرثومة الادراك الحقيقي الكائنة فيه منذ الوجود من ناموسها الارتقاء والاكتساب ما لبث ان شعر بثقل نير العبودية على كاهله وعلم انه لو وجد دين فليس من احكامه وشرائطه تلك المظالم التي ينوء تحت عبئها فسببت تلك المعرفة انفتاح اذنيه الصماوين فسمع نداء الصوت الطبيعي صوت النفس المعذبة بالاذعان مع الجسد لاوهام تقودها الى فقد موهبة الحرية الذاتية فكراً وقولا وعملا . فهاجت الخواطر وانفكت قيود الاستعباد من ايدي الشعب المظلوم فقام يطالب بحقوقه المسلوبه فتكونت اذ ذاك عدة جمهوريات كانت الاراء فيها لنواب الشعب والحكم لرئيس ذي اهلية يقوم بالانتخاب العام . ولكن لم تكن تلك

الحكومات لتحيي طويلا لكونها مفقودة المبادئ الاساسية لقيام مثل هذا النوع من السلطة لان مقاومة بعض السلائل الشريفة من تلك القبائل اولا . وثانياً عدم وجود الفضيلة بين العامة . وثالثاً شبوب نيران الحروب المستمرة بدون قاعدة ولا نظام وكل هذه الامور كانت سبباً جوهريا لسقوط المبدأ الديموقراطي وتسلط رجل واحد على الرعية فهدمت اساسات الجمهورية وقام الملك

وبما ان مجلس النواب الاول ابقى اثراً سيئاً في نفوس الرعية لعدم مطابقته ظروف احوالها سلمت اعنة الاعمال باسرها لشخص الملك يديرها فيخضع الشعب لمشيئته كيفما اراد بدون مانع ولا معارض فنتج عن ذلك الحكم المطلق تعريض سياسة المملكة لتقلبات خواطر الملك واحواله التي ما لبثت ان تلاعبت بها ايدي المقاصد وعاد الكهنة يلقون بعقل حاكمهم الاوهام والوساوس فسقطت الرعية مرة اخرى في المحذور الذي تحاشته ولم تر بداً من الاذعان لاوامر رؤساء الدين التي كانت تلقى عليها من فم ملك اقسمت له خضوعا ابديا . فكانت تدوم تلك المملكة بخفي ضغط ارادة الملك صوت الشعب المتظلم حتى يغزوها شعب آخر او تسقط لذاتها تبعاً لقواعد كل عمل لم يطابق الظروف او لم تطابق الظروف مبادئه

ولو تفحصنا تاريخ الاعصر الماضية ونظرنا الى كيفية تقلبات ممالكها لرأينا من خلال زوابع تلك الحروب الهائلة والانشقاقات والمظالم التي لا تحصى كلمة الدين التي أوجدت للوئام فنتج عنها الانقسام . اوجدت للمحبة فكانت سبباً للاحقاد . اوجدت للسلام فاريق بسببها من دم العباد انهار

فالام تعزي هذا الانقلاب والبون العظيم بين السبب والنتيجة في

هذا المقام . ألى الدين من حيث كيانه المجرد فانه بالنظر لمبدائه لا يدخل طي الغايات الشخصية والاهواء النفسية وليس من الممكن الفاؤه من حياة البشر اذ بذلك تشوش ميزانية الحقوق بين الشعب الجاهل الواجبات ما لم تدفعه الى اتعابها قوة لا يعرف ان يعبر عنها بسوى كلمة (ارادة الله) وسيان عنده اذا كانت تلك الارادة وصلت اليه سالمة من كل زيادة لاخضاعه او لتحريف لسلطة الرؤساء ولا يلام الشعب لانقياده الى عنان لا يعرف اي يد تديره لانه لا يزال كيفما تحرك يسمع باذنيه اوامر سياسية محضة تجعلها كلمة « مشيئة الخالق » ارفع من ان يدركها عقله . كما انه لا يمكنه الاتفاق على رأي لما به من تباين المقاصد واختلاف القوى العقلية والاراء الضعيفة التي لا تحيط بشتات المسائل واهميتها

أعلى الملك تاتي تبعة هذه السيئات والشخص الذي تلقى على مسئوليته ميزانية السلام وبيده نقطة دائرة الاحكام يجد ذاته ضعيفاً لدى مقاومة الدين وقد اصبح هذا مغروساً في فؤاد كل فرد من افراد رعيته

اذاً ليس الدين علة كل هذه الضربات التي اوهنت دعائم البشرية وليس الشعب مسئولاً عما يفعل لانه لا يأتي بغير ما يؤمر

والملك ولو كان حكيما يلتزم قسراً اتباع صراط الاعوجاج فمن الجاني اذا لم يكن اولئك الذين استعملوا تسلطهم على عقول بني الانسان بمبادي الدين ذريعة للتداخل بشؤون الاحكام فتعزز جانبهم وقوي سلطانهم حتى لم تعد تميز الشرائع الدينية عن النظامات المدنية فاصبحت المملكة والملك اشبه بترس يحمله روساء الدين لحماية معتقدهم ضد ادعاآت الملل الكثيرة العدد وحفظوا قوتهم باضعاف العامة واذلالها فرفع كرسي مجدهم على بقايا حرية سلبوها من

الشعب فاصبح بفقدها جسداً بلا حركة وبالتالي حركة لا ارادة لها غير اميالهم المقدسة

وهكذا في معظم ادوار الوجود سقطت ممالك وأبيدت قبائل واهرقت دماؤها البرية على شفار النصال ولا ذنب لها سوى مخالفة العدو بالمعتقد والتقاليد فقط فكأن العالم باسره في تلك الاجيال لم يكن يحيى بسوى نسمة الدين التي لاجلها اوقف كل صوالحه الادبية والتجارية حتى اخر نسمة من حياته

ولا يمثل لنا التاريخ حروباً افظع من التي سبب شبوب نارها التعصب الذميم ولا يرينا ابطالاً اشتهروا بالغزوات وسفك الدماء الا ونرى بيدهم سمهري التوحش ملطخاً بدم الظلم وعلى جباههم كلمة الدين مخطوطة باحرف الويل والدمار

اما الان وقد ضمت شتات البشرية دول قوية عظيمة تتألف جامعتها من جميع الملل والمعتقدات فقلما او من المستحيل ان نسمع ان حرباً نظامية كان الدافع لاصلائها الدين ولو اتخذ رجال سياسة العصر هذه الكلمة نقاباً يسترون تحته مطامعهم المادية . فالعاقل يعلم علم اليقين انه كما كان المذهب بالاعتقاد فيما سلف محوراً لحركة الحروب هكذا معارك هذا الدور من الحياة البشرية محور دائرتها الاراضي المتسعة والاصفر الرنان

ففي الاعصر القديمة كانت المملكة من دين واحد وتقاليد واحدة ولهذا كانت تهتز باسرها كسلك مسه الكهرباء حينما تلقى في اذان الشعب كلمة حرب الجهاد . اما الان وقد اختلط معدن ذلك السلك فباطلاً يجتهد الدين ان يذعنه لاحكام

ولكن من المقرر طبيعياً ان كل متحرك يولد قوة وكل قوة لا تبرح

متحركة . فاين مضت قوة الدين يا ترى ؟ هل اضمحلت ؟ — ليس من الممكن الجزم بذلك وابسط رجل يعرف بان القوة ليست الا نتيجة بسيطة لسبب تلازمه لانها صادرة عنه . اذاً قوة الدين موجودة لانه هو موجود ولا شك ان به عظمة سامية تثبته في عالم المبادي وتلك من اسرار المبدع العظيم فلا نحاول لعجزنا كشف مستوراتها ولكننا نجتهد لمعرفة مركز تلك الحركة المستمرة التي سبب تغيير هيئة الكون مراراً عديدة لعلنا ندرك مبدأ سيرها فنعلم الى اين تنتهي غايتها

فالقطار المتحرك بفعل البخار الذي تحصره الآلات الميكانيكية وتدفعه للسير على الطريق المعدة له لو اوقفت حركة سيره موانع غالبة لما منع وقوفه متابعة دوران العجلات على محورها واستمرار الحركة ما دامت القوة الاولية آخذة مفعولها . هكذا نشبه المملكة وحالاتها من حيث اندفاعها بقوة الدين وسيرها بوادي التعصب والجهالة والويل فيما سلف من الزمان ووقوعها متربصة مكانها في هذا العصر . لا يمنع مانع الحوادث الماضية استمرار حركة الافكار المغذاة بكلمة الدين التي لا تمحي من عقول البشر

ولا حركة بلا نتيجة فان لم تظهر نتائجها بما يجاورها من المتحركات حصرت بنفسها وسببت لذاتها نفعاً او ضرراً بحسب مباديها وقرائن الظروف التي تلحق بها . فالدين برؤسائه لا يفتر عن مقاومة الحكم المدني مدعياً ان سلطة الدين تشمل كل فروع الشرائع الوضعية (خلافاً لطبيعته) فيريد اقتياد الشعب المنظم والمتشتت بكلمته لكلما يبديه من الاراء ويحدثه من المبادي التي تتخالف على خط مستقيم قيام المملكة وسلطة القانون وارادة الملك . ومن جهة اخرى نجد المملكة لا تعتبر الدين الا امراً ثانوياً لا يسمح لغير النفس

بالاذعان لاحكامه وتجد ذاتها محقة بازالة كل العقبات التي تحول دون حكمها على الاشخاص وتفردها بادارة غرس المبادي لتكون مالكة لافكار شعبها في المستقبل وهي (اي المملكة) لا تعترض احداً بدينه اذا شاء السجود للحجر او للقمر او لله ولكنها تخشى تسليم رعاياها الاعمى لرؤساء الدين لعلمها بما وراء ذلك من بذور لو تمكنت يده من القائها في ضمير الانسان لعادت التعصبات التي بذلت مجهودها لمحو اثارها ضناً بالصالح العام

اذاً نعلم مما تقدم انه لما كانت قوة الدين شاملة اقسام الممالك المطلقة كان مركز العرش عند اقدام الهيكل . وعند ما تقيدت الاحكام واختلفت المذاهب بين معظم التبعات لو حدث هذا باسم الوطن نهض العرش مرتفعاً حتى الهيكل فساواه وصار الانسان كفتي ميزان نقطة ثقلها كاهل الشعب وهذا هو الدور الثاني

بقي ان ننظر الى الدور الثالث والاخير . ولنفتش باقطار العالم قاطبة فلا نجد ملكاً يزعزع فدى الدين بحسب مبادىء الملك . ومن المؤكد انه لا عرش بلا هيكل يقوم ولا سبيل لوجود هذا محطماً بدون ان نشاهد ذاك ملقى تتلاعب بقاياه ايدي نواب الشعب ليكونوا منه كرسياً بسيطاً يجلس عليه رئيسهم وحيث ان هنا اخر نقطة من تشفيات الاحكام لا نشك اننا نرى عندها باجلى وضوح أخر نتيجة يقف عندها الدين واذاً فلنحول ابصارنا الى فرنسا

هناك لا عرش ولا هيكل . هناك اثار صولجان محطم وبقايا ملوك عظام تغطيها عظام لويس السادس عشر الذي أيد الدين بايامه وتكسر الهيكل من مملكته فسقط رأسه دامياً تحت نصل (المقصلة) الكيليوتين تلك

الآلة الجهنمية . هناك على تلك الاثار التي تستنزف الدمع نرى كرسياً حديثاً ركزته يد الشعب فذاق بقربه الراحة بالحرية وعرف العدل بالمساواة وعلم بالاخاء ما هي المحبة والسلام

واذا تأملنا بحالة الدين في فرنسا نتأكد بديهاً انه الى هذه الغاية ستصل حركة الاعتقادات المستمرة في المعمور وهكذا تبعاً لناموس رد الفعل وعود الدائرة الى محورها ستسقط العروش ومعها الهياكل لان الملك على نوعيه الكائنين لا يوافقان مشرب العصر والظروف التي تقارنه فالملك المطلق لاختلاف مذهب الملك عن مذاهب رعيته المختلفة لا يثبت الا بتوحيد الاعتقاد وهذا غير ممكن

والملك المقيد لاتباع الملك الى مطاوعة كل رؤساء الدين مع اختلاف مذاهبهم لا يثبت لان الشعب وحده يحمل الضربات المتولدة من اختلاف يلتزم الوئام سياسة ظاهراً وليس باطناً . ولا اخال ذلك الشعب المسكين صابراً طويلا وهكذا سيأتي زمان يلتفت البشر الى مما لكنا وقد طوتها الادهار فيقولون كان قبلنا قوم يذعنون لحكم رجل واحد تتلاعب بعقله وارادته المقاصد . كان قبلنا اناس لا يميزون بين الاعتقاد والحكم كان بشر مثلنا يحملون بكل قواهم العقلية يذعنون للاوهام ويشربون كاس العيش ممزوجة بصبر التعصب ويضحكون مما نبكي منه الان

فليكس فارس